التطبيع الإيراني السعودي: الأسباب والنتائج

مصطفى جانر*

ملخص: أعادت إيران والسعودية في مارس 2023م العلاقات الدبلوماسية وفتح السفارتين بعد انقطاع وصراع داما سبع سنوات. في الآونة الأخيرة، تُوِّجت المفاوضات بوساطة العراق وسلطنة عمان وأخذ الصين دور الوسيط والضامن، وهذا يشير إلى تحوّل كبير في ديناميكيات القوة العالمية. واتّفق الجانبان على إعادة فتح السفارتين وإحياء اتفاقيات التعاون السابقة. وعززت الاجتماعات رفيعة المستوى التقدّم الإيجابي نحو تحسين العلاقات، مع إنشاء لجان مشتركة لمعالجة مختلف القضايا، ويُتوقَّع أن تكون هناك انعكاسات لما حدث على المستوى الإقليمي.

الكلمات المفتاحية: إيران، السعودية، التطبيع، طهران، الرياض.

*جامعة سكاريا، تركيا.

Iran and Saudi Arabia Normalization Agreement: Causes and Consequences

MUSTAFA CANER*

ORCID NO: 0000-0001-7257-2321

ABSTRACT: *In March, Iran and Saudi Arabia reopened diplomatic relations and embassies after a seven-year break and conflict. More recently, negotiations brokered by Iraq and Oman culminated in China taking the role of mediator and guarantor, signaling a major shift in global power dynamics. The two sides agreed to reopen embassies and revive previous cooperation agreements. The high-level meetings consolidated positive progress towards improving relations, with the establishment of joint committees to address various issues. It is expected that there will be repercussions of what happened at the regional level.*

Keywords: Iran, Saudi Arabia, Normalization, Tehran, Riyadh.

*Sakarya University, Türkiye.

رؤيـــة تركيـــة
2023-(3/12)
153 - 168

DOI:10.36360/1560-012-003-008

مدخل

في العاشر من مارس 2023م، اكتشف العالم بأسره الدلائل على أن حقبة جديدة تنفتح في الشرق الأوسط مع الأخبار الواردة من بكين، حيث أعلنت السلطات الإيرانية والسعودية أنهما اتفقتا على إعادة العلاقات الدبلوماسية وفتح السفارتين بعد توقف دام سبع سنوات.

وكانت العلاقات الدبلوماسية قد انقطعت بين البلدين في بداية عام 2016 بسبب الأحداث التي وقعت نتيجة إعدام السعودية رجل الدين الشيعي آية الله نمر النمر. كانت شوارع طهران في حالة اضطراب، وتعرضت السفارة السعودية للهجوم. على الرغم من أن الإدارة الإيرانية في ذلك الوقت أدانت الهجوم، وقالت: إن الجُناة سيُعاقَبون، إلا أن المملكة العربية السعودية قطعت العلاقات الدبلوماسية من جانب واحد. لاحقًا، اندلعت حروب بالوكالة في جميع أنحاء المنطقة غذّت هذه الأزمة الدبلوماسية، واستمر الصراع بين طهران والرياض حتى عام 2021.

في العامين الماضيين، جرت المفاوضات بوساطة العراق وسلطنة عمان. ومع ذلك، في نهاية هذه العملية الطويلة، اختارت الأطراف التفاوض بوساطة الصين وكفالتها. هذا الاختيار بحدّ ذاته رسالة سياسية جادّة. سيكون من الصحيح قراءة هذه الرسالة لصراع القوى العالمي. ومع ذلك، من المفهوم أن العلاقات بين البلدين ستمرّ بتحوّل مهمّ للغاية وفقًا للاتفاقية المذكورة.

في غضون شهرين اتفق الطرفان على إعادة فتح السفارتين، فضلًا عن إحياء اتفاقية التعاون الشامل عام 1998 والاتفاقات الأمنية عام 2001.[1] جرى التوقيع على هذه الاتفاقيات في عهد الرئيس الإيراني الإصلاحي محمد خاتمي. لذلك، كان مفهومًا أن المناخ السياسي كان مشابهًا للتخفيف في عهد الرئيس الإصلاحي خاتمي. ومثل الجانب السعودي وكيل الأمن القومي مساعد بن محمد العيبان، فيما مثل الجانب الإيراني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي علي شمخاني. ثم التقى الطرفان مرة أخرى في الصين يوم 6 أبريل 2023م. وهذه المرة، عقد وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان ووزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان اجتماعًا، وورد في النص المشترك المعلن في نهاية الاجتماع أنهما اتفقا على فتح السفارات والقنصليات في أقرب وقت ممكن.[2]

وقد أظهرت المفاوضات التي جرت في جو إيجابي للغاية والمخرجات الأولية أن العملية ستستمر دون تدهور في المستقبل القريب.

أسباب الاتفاقية والسياق السياسي الدولي

من الممكن طرح أسباب محددة لكل من الفاعلين، بما في ذلك الوسيط الصيني. من المهم أيضًا تحديد السياق السياسي الإقليمي والعالمي الذي يجعل هذه الأسباب صحيحة وذات مغزى. تحاول إيران رسم اتجاه جديد في سياستها الخارجية لفترة طويلة. على الرغم من أنه جرى التعبير عنها شعارًا لفترة إبراهيم رئيسي، إلا أن سياسة «النظر إلى الشرق» تركت بصماتها على اللحظات الأخيرة.

في هذا السياق، من الضروري النظر في اتفاقية 400 مليار دولار الموقعة مع الصين في مارس 2021 حيث أدّى الجمود في العلاقات مع الغرب وإخفاق الدبلوماسية النووية دورًا كبيرًا في اختيارات إيران. في أعقاب الاتفاق النووي الذي دخل حيز التنفيذ في عام 2016، رُفِعت العقوبات المفروضة على إيران بسبب أنشطتها النووية. ومع ذلك، انسحب الرئيس الأمريكي ترامب في عام 2018 من الاتفاق النووي، وبدأ في فرض عقوبات على إيران مرة أخرى حيث شكل فرض العقوبات المفروضة على إيران عبئًا ثقيلًا على اقتصاد البلاد.

تواجه إيران، التي لا تستطيع بيع نفطها بحرية بسبب العقوبات، أزمات خطيرة في الاقتصاد والعديد من القطاعات ذات الصلة بسبب اقتصادها الريعي. بعد انتخاب بايدن رئيسًا للولايات المتحدة، بدأت المفاوضات النووية بين إيران والقوى العالمية مرة أخرى، لكنها لم تسفر عن أي نتائج حتى الآن. وقد دفع عدم القدرة على التوصل إلى نتيجة ملموسة على الرغم من جولات المفاوضات العديدة الإدارة الإيرانية إلى البحث عن بدائل، وغذى عدم ثقتها بالعملية، وكان التطبيع مع السعودية هو أحد هذه الطرق البديلة.

بالإضافة إلى ذلك، اهتزت إيران من احتجاجات مهسا أميني منذ سبتمبر من العام الماضي 2022م. على الرغم من أنها فقدت قوتها إلى حد كبير بدءًا من أبريل، فلا ينبغي أن ننسى أن مثل هذه الاحتجاجات تكررت على فترات قصيرة منذ عام 2017. لهذا السبب، تواجه إيران اضطرابات سياسية تضعف مكانتها في البلاد وسمعتها الدولية. وقد تضررت سمعة إيران الدولية بشدة من خلال وسائل الإعلام، مثل قناة إيران الدولية، وقد يساعد تطبيع العلاقات مع السعودية إيران على استعادة سمعتها الدولية وتقليل الضغوط. بالإضافة إلى هذه العوامل، يمكن القول: إنه بعد تحرير كاراباخ، فقدت إيران موقعها المتميز في منطقة القوقاز. وقد خلق هذا إحساسًا بالهشاشة وعدم الاستقرار في سياسة إيران الخارجية، وهذا دفع إدارة طهران إلى البحث عن تحالفات وشراكات جديدة في المنطقة.

إن تطبيع العلاقات مع السعودية يمكن أن يزود إيران بحليف مهمّ في المنطقة ويساعدها في تأمين مصالحها الإستراتيجية. أخيرًا، أدى الضغط المكثف من أوروبا بعد غزو أوكرانيا إلى زيادة الصعوبات الدبلوماسية لإيران، وقد عرّض بيع إيران الطائرات المسيَّرة المسلحة لروسيا مزيدًا من العقوبات والقيود.[3] ويمكن لتطبيع العلاقات مع المملكة العربية السعودية أن يساعد في تخفيف بعض هذه الضغوط، وخلق فرص جديدة للتعاون.

هناك عدد من العوامل التي تدفع السعودية إلى إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إيران:

أولها أن السعودية لم تتلق دعمًا عسكريًّا من الولايات المتحدة في عهد الرئيس بايدن، كما في إدارة ترامب السابقة. وقد أجبر ذلك الرياض على النظر في سبل دبلوماسية بديلة، بما في ذلك إمكانية تحسين العلاقات مع إيران.

ثانيًا، تواجه المملكة العربية السعودية عدم استقرار وتهديدات أمنية في جميع أنحاء المنطقة نتيجة للصراعات بالوكالة مع إيران. والمملكة العربية السعودية هي هدف دائم لهجمات الطائرات المسيَّرة، التي يُعتقَد أنها تأتي من وكلاء إيران، مثل جماعة الحوثي.[4] لذلك، تهدف إدارة الرياض إلى تخفيف التوترات والأزمات الإقليمية من خلال إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إيران.

أخيرًا، يمكن القول: إن الرياض تهدف إلى توسيع تحالفاتها في مواجهة التحديات الدولية. في فترة طويلة، قامت المملكة العربية السعودية بمناورات في السياسة الخارجية من خلال الاعتماد على الدرع الأمني الأمريكي. ومع ذلك، مع الأمثلة الأخيرة (حرب أفغانستان وأوكرانيا) تأكدت أن الولايات المتحدة لا يمكن الوثوق بدورها في تزويدها بالأمن، فاعتقدت أنه سيكون من الحكمة إقامة تحالفات وشراكات جديدة من خلال تحسين العلاقات مع إيران.

وإن نمو الصين وتوسعها وبوصفها مرشحة أن تصبح قوة عظمى تتحدى الولايات المتحدة، كل ذلك يجعلها تعتمد على واردات الطاقة. وبهذا المعنى، فإن الدولة التي تشتري الصين معظم النفط منها هي السعودية[5] بعد روسيا، في حين أن الدولة التي تبيع إيران لها معظم النفط هي الصين.[6]

علاوة على ذلك، تواصل الصين شراء النفط من إيران على الرغم من العقوبات الأمريكية. ومع ذلك فإن الأزمة بين هذين البلدين، وهما أهم شركاء الطاقة، تحتوي على مخاطر من شأنها أن تعطل إمدادات الطاقة في الصين. وقد كشفت الأزمة الأخيرة[7] في العلاقات الإيرانية الصينية بعد زيارة الرئيس الصيني شي جين بينغ السعودية هذه النقطة بشكل أوضح.

تحتاج الصين إلى الاستقرار من أجل تحقيق أهدافها التجارية والسياسية في المنطقة. من ناحية أخرى، تريد الصين تحويل إستراتيجيتها التوسعية، التي نفذتها من خلال التجارة والاستثمارات والتمويل، إلى قوة سياسية. وسيكون من الممكن أن تصبح الصين قوة عظمى عالمية من خلال أن تصبح واحدة من الدول المهيمنة في العالم عسكريًّا وسياسيًّا. لذلك فإن إحدى الخطوات المهمة التي يجب اتخاذها في هذا الاتجاه هي القيام بمبادرة سياسية ثم عسكرية. مثل هذه الخطوات السياسية والعسكرية يمكن أن تجعل الصين القوة المهيمنة الجديدة في الشرق الأوسط. وقد كان التوسط في الاتفاق الإيراني السعودي خطوة من نوع الخطوات السياسية المذكورة.

> **دعا الملك سلمان بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى زيارة الرياض، وقبل الرئيس الإيراني الدعوة، ومن المنتظر أن يزور السعودية قريبًا**

تقرّب هذه الخطوة الصين من هدف اكتساب القوة في البحث عن صاحب مصلحة لنظام بديل للنظام السياسي والاقتصادي للولايات المتحدة، فضلًا عن كونها جهة فاعلة مهيمنة في الشرق الأوسط.

الاستنتاجات والآثار الإقليمية للاتفاقية

بعد الاتفاق مباشرة، دعا الملك سلمان بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى الرياض. وقبل الرئيس الإيراني الدعوة،[8] ومن المنتظر أن يزور الرئيس المملكة العربية السعودية في الأيام المقبلة. وفي 8 أبريل 2023، وصل مسؤولون سعوديون إلى طهران لمناقشة التفصيلات الفنية لإعادة فتح السفارة والقنصلية في إيران.

وقد ذُكِر أن الوفد السعودي الذي وصل إلى إيران أجرى أيضًا محادثات لتطوير العلاقات الثنائية.[9] في 8 مايو 2023م، أفاد الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية ناصر كنعاني أن الأعمال النهائية لإعادة فتح البعثات الدبلوماسية الإيرانية في المملكة العربية السعودية، التي أُغلقت منذ سنوات، على وشك الانتهاء. وقال كنعاني: إن العملية استغرقت وقتًا طويلًا؛ لأن مباني المكاتب التمثيلية وأثاثها الداخلي لم تُستخدَم منذ سنوات، وجرى تنفيذ إجراءات التجديد والصيانة اللازمة.[10] في 22 مايو 2023م، أُعلِن عن تعيين علي رضا عنيتي سفيرًا لإيران لدى السعودية.[11] وفي 6 يونيو 2023م، بعد توقف دام 7 سنوات، بدأت سفارة إيران بالرياض العمل رسميًّا مرة أخرى.[12] في 8 يونيو 2023م، أُعِيد فتح القنصلية في جدة، وفي الوقت نفسه، بدأ التمثيل الإيراني لمنظمة

التعاون الإسلامي العمل في جدة.[13] ويمكن عدّ هذه التطورات في غاية الأهمية من حيث الهيكلة المؤسسية للعلاقات بين البلدين.

في 17 يونيو2023م، التقى وزيرا خارجية البلدين في طهران وأعلنا أن مباني السفارة ستُفتَح قريبًا جدًّا. كما أعلن الاثنان أنهما سيعملان على تطوير العلاقات في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية. وصرح فيصل بن فرحان أن «الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية سيشكلان أساس العلاقات الثنائية». وذكر أن تسهيل عمل الحجّاج الإيرانيين والمواطنين السعوديين الراغبين في زيارة إيران والقضايا البيئية والأمن البحري ومكافحة أسلحة الدمار الشامل، كل ذلك يشكل بؤرة العلاقات بين البلدين.[14]

وقد أثمرت اجتماعات الوزراء وبياناتهم في وقت قصير. بعد أسبوع واحد فقط، ذكرت السلطات الإيرانية أن المملكة العربية السعودية وفّرت وسائل الراحة للحجاج الإيرانيين في رحلتهم، وأنهم سافروا في حافلات جديدة تمامًا.[15] وسيسهم هذا التطور بلا شك في تحقيق الفرائض الدينية للمسلمين، وكذلك في تعزيز الصورة الإيجابية لشعبي البلدين تجاه بعضهما بعضًا. بالطبع لن يقتصر هذا التطبيع على العلاقات الثنائية البحتة بين البلدين. وقد بدأ الشعور بالآثار الإقليمية للاتفاقية.

ومن المتوقع أيضًا إعادة العلاقات الدبلوماسية بين إيران والبحرين بعد زيارة رئيسي للرياض.[16] وانقطعت العلاقات بين البلدين بسبب دعم إيران للتمرّد الذي اندلع في البحرين عام 2011 وأُعيد تأسيسه بعد 18 شهرًا تقريبًا. بعد الهجوم على السفارة السعودية، قطعت حكومة المنامة العلاقات الدبلوماسية مع إيران دعمًا للرياض.[17]

من المتوقّع أن يكون للعملية تأثير إيجابي على الحروب بالوكالة والصراعات الإقليمية بشكل عام؛ لأن الاتفاقية الأمنية عام 2001 المزمع إحياؤها تنصّ على امتناع الأطراف عن الأعمال التي من شأنها الإضرار بأمن بعضهم بعضًا. تتنافس السعودية وإيران في العديد من المجالات في المنطقة. ومن الممكن تتبع هذه المنافسة في سوريا ولبنان والعراق والبحرين خاصة في اليمن.

انخفاض التوترات

ومع الاتفاق، يمكن توقّع انخفاض مستوى التوترات على جبهات عديدة، بل حتى إنهاء النزاعات. يمثل خطاب المسؤولين السعوديين والإماراتيين وتصرفاتهم فيما يتعلق بالليين والتطبيع في علاقاتهم مع الأسد النتيجة الأكثر وضوحًا لهذه العملية بالنسبة لسوريا.

بالطبع، يمكن القول: إن اتفاقية التطبيع وعملية الاعتراف بإدارة الأسد في سوريا من قبل دول الخليج العربية لهما تأثير متبادل. في بداية مايو 2023م، أُعيد قبول سوريا رسميًّا في جامعة الدول العربية بعد توقف دام 12 عامًا.[18] إلى جانب المملكة العربية السعودية، تحاول دول الخليج الأخرى (باستثناء قطر) تحسين علاقاتها مع إدارة الأسد في سوريا.

بعد ثلاثة أيام من الاتفاق السعودي الإيراني زار الأسد الإمارات. في زيارة الأسد هذه جرت احتفالات أكثر حيوية مقارنة بزيارته العام الماضي، وللمرة الأولى بعد اندلاع الحرب الأهلية السورية رافقت أسماء الأسد زوجها بشار الأسد في زيارته الرسمية إلى الخارج.[19] بالإضافة إلى ذلك، في بداية أبريل، اجتمع الطرفان من أجل وقف دائم لإطلاق النار في اليمن.

جرى تقييم هذه المبادرة من قبل تركيا على أنها نتيجة التطبيع بين السعودية وإيران ووجدتها إيجابية.[20] ويُعَدّ الاتفاق السعودي الإيراني أمرًا حيويًّا لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة، حيث يمكنه إنهاء أحد أطول الصراعات في المنطقة. على الرغم من عدم إقامة سلام دائم حتى الآن، إلا أن الصراعات قد انتهت وتستمر عملية التفاوض.

بالطبع، إذا تحققت التطورات المذكورة آنفًا، فسجري تعزيز الاستقرار والأمن الإقليميين، وستظهر في المنطقة بنية مماثلة لما قبل الربيع العربي. تصريحات الدعم من العديد من دول المنطقة، وبخاصة تركيا،[21] تضعف من إمكانية عكس العملية. من ناحية أخرى، هناك دول مثل «إسرائيل» ترفض الاتفاقية.

صرّح رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق نفتالي بينيت أنهّ بهذا الاتفاق تكون خطط «إسرائيل» بـ«إنشاء تحالف مناهض لطهران» قد أخفقت. وقد أدلى يائير لابيد، أحد رؤساء الوزراء السابقين، بتصريح مماثل، ووصف الاتفاق بأنه «إخفاق مطلق» لـ«إسرائيل:.[22] ويمكن القول: إن الاتفاق سيضع ضغطًا جديدًا على حكومة نتنياهو التي تمر بأوقات عصيبة في الداخل، وسيؤثر أيضًا في السياسة الداخلية الإسرائيلية.

ومع الأنباء التي تفيد بأن السعودية لم تصدر تأشيرات دخول للسياح الإسرائيليين فور الاتفاق السعودي الإيراني، وأن الإمارات جمّدت بعض المشتريات العسكرية من «إسرائيل»،[23] يعني أن عملية اتفاقات أبراهام قد أخفقت. ولكن إلى أي مدى يرجع هذا الوضع إلى الاتفاق المبرم في الصين فهذا أمر قابل للنقاش. لكن يمكن القول: إن التحول الكلي، وهو أيضًا جزء من الاتفاق السعودي الإيراني، كان فاعلًا في البرودة التي بدأت في دول الخليج العربية ضد «إسرائيل.İ

بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من أن الأخبار التي تفيد بأن الإمارات ستخفض مستوى العلاقات الدبلوماسية مع «إسرائيل» تنبع من تصرفات التيارات اليمينية المتطرفة في السياسة الداخلية الإسرائيلية،[24] فمن الواضح أنها تستمد قوتها من عملية التطبيع السعودية الإيرانية.

وأخيرًا، فإن سحب الولايات المتحدة الدعم من حكومة نتنياهو يعني أن عملية التطبيع بين دول الخليج العربية و«إسرائيل» قد تضررت بشدة. وبحسب بعض التفسيرات، فإن الصفقة الإيرانية ستعوِّق التعاون بين السعودية و«إسرائيل».[25]

نقاط الضعف في الاتفاقية

على الرغم من ذوبان الجليد بين حكومتي طهران والرياض، إلا أن المشكلات الرئيسة المتبقية بين البلدين تشكل حدود هذه الاتفاقية، وبخاصة أن التنافس على النفوذ الإقليمي بين البلدين يجعل التطبيع بينهما هشًّا. وحقيقة أن الوضع العالمي يجمع الأطراف معًا يعني أن المشكلات في العلاقات الثنائية ستعود إلى الظهور في حال حدوث ظرف مناسب. ومن الأمثلة على ذلك طلب فيصل بن فرحان وزير الخارجية السعودي تغيير

القاعة التي انعقد فيها المؤتمر الصحفي مع نظيره حسين الأمير عبد اللهيان لأن الوزير السعودي انزعج من صورة قاسم سليماني في القاعة.

وحتى إذا جرى تغيير القاعة التي حصل فيها الإدلاء بالبيان الصحفي فقد نشر أمير عبد اللهيان بيانًا على حسابه على تويتر يشيد فيه بقاسم سليماني، وذكر أن الاسم الرمزي لسياسة إيران الإقليمية وأيديولوجيتها لن يتغير.[26] بالإضافة إلى ذلك، فإن الاتفاقات التي سيتوصل إليها البلدان بشأن قضايا مثل تحديد إنتاج النفط وسوقه، واستمرار التنافس الإقليمي بينهما في أراضٍ مثل اليمن والبحرين ولبنان وسوريا، هي اتفاقات مؤقتة.

إن انعدام الثقة طويل الأمد بين البلدين أصبح تقريبًا ثقافة سياسية متجسدة. وقد لعن زعيم الثورة الإسلامية آية الله الخميني السعودية[27] في كلمته عندما حصلت وفاة الحجاج الشيعة في كارثة الحج في منى عام 1987، وقال: «ليس من المستغرب أن نرى الأيدي القذرة للولايات المتحدة و(إسرائيل) تخرج من أحضان الشعب الماكر وزعماء المملكة العربية السعودية وخونة الحرمين الشريفين، وهي تستهدف قلوب أفضل المسلمين ومحبيهم. ضيوف الله. ولا غرابة في أن نرى من يدّعي حماية مكة وبيت الله يسقي

شوارع مكة وأزقتها بدماء المسلمين».[28] في عام 2015، لقي 131 حاجًّا إيرانيًّا حتفهم في التدافع، ممّن أدّوا فريضة الحج في منى.

وقد قال المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي: «على السعودية أن تتحمل مسؤوليتها عن هذا الحادث الأليم، وأن تتصرف وفق العدالة والإنصاف. واتهم إدارة الرياض «بسوء الإدارة والممارسات التي تسببت في هذه الكارثة».[29]

يعبّر موقف الخميني عن تحول الطائفتين الشيعية والسنية إلى تنافس أيديولوجي سياسي. فكلا البلدين لديهما أقليات شيعية وسنية. يمكن قراءة إعدام آية الله الشيخ نمر النمر في عام 2016 على أنه نتاج صراع شيعي سني مماثل. وهنا يعني الاتفاق بوساطة صينية مجرد تجميد كل هذه النزاعات، ولكن لا يعني أنه جرى حلّها.

من غير الواقعي أن نتوقع حلّ هذه الصراعات التي امتدت عقودًا من الزمن فجأة. والأهم من ذلك، أن التطبيع الإيراني السعودي ظهر نتيجة تصرفات القوى العظمى خارج المنطقة. مرة أخرى، هناك خطر تعرضه للتدهور بسبب تغيرات موقف القوى العظمى.

سيكون موقف الولايات المتحدة أيضًا حاسمًا جدًّا في هذه العملية. على الرغم من رسالة البيت الأبيض بأنه يرحب بالاتفاق الإيراني السعودي، فمن الواضح أن الولايات المتحدة غير مرتاحة لهذه العملية، حيث ذهب رئيس وكالة المخابرات المركزية بيل بيرنز إلى المملكة العربية السعودية بعد الاتفاق، والتقى ولي العهد الأمير محمد بن سلمان وأعرب عن عدم رضاه عن الاتفاقية، وقد أبدى بيرنز انزعاجه لمحمد بن سلمان قائلًا: «لقد فوجئت الولايات المتحدة من الاتفاقية».[30]

ومن غير الواضح ما إذا كانت الولايات المتحدة المنشغلة جدًّا بحرب أوكرانيا ستزيد من مشاركتها في الشرق الأوسط. إذا لم تزد انخراطها، ستجد الصين الفرصة والقدرة على التحرك بشكل أكثر راحة. ولكن إذا أرادت الولايات المتحدة تحقيق التوازن بين الصين في الشرق الأوسط، فهناك عدة طرق يمكنها من خلالها تحقيق ذلك. والعقوبات هي إحدى تلك الطرق. ويُعَدّ تشديد الولايات المتحدة للعقوبات على سوريا رسالة إلى الدول العربية لاتخاذ خطوات حذرة تجاه التطبيع مع الأسد. بهذا المعنى، بعد قبول سوريا في جامعة الدول العربية، اتخذت الولايات المتحدة قرارات عقوبات جديدة. ففي 30 مايو، تم معاقبة شركتين ماليتين، الفاضل للصرافة وشركة الأدهم للصرافة، بموجب قانون قيصر لمساعدتهما الأسد.[31] وسيحدد الوقت ما إذا كانت هذه العقوبات المماثلة ستكون رادعة للدول التي تفكر في تحسين علاقاتها مع إيران وسوريا.

إن دول الخليج هي التي ستقرر موقفها بين الصين والولايات المتحدة. ماذا تقول وساطة الصين؟ إن وساطة الصين في هذه الاتفاقية هي في الواقع رسالة مهمة فيما يتعلق بالسياسة العالمية وتوازنات القوى ومنافسة القوى العظمى. وبهذا الاتفاق، تعلن الصين أنها مرشحة لسد الفجوة التي خلفتها الولايات المتحدة في المنطقة والحصول على مؤهل كونها دولة مهيمنة.

تعتزم الصين، التي كانت تقترح نظامًا بديلًا للنظام العالمي القائم على الولايات المتحدة لفترة طويلة، أخذ المملكة العربية السعودية وإيران معها في هذا الاتجاه. وإيران بالفعل هي دولة اعترضت على النظام والمعايير العالمية المهيمنة منذ عام 1979. في الآونة الأخيرة، تحولت السياسة الخارجية الإيرانية إلى موقف يوسع المسافة مع الغرب، كما تدل على ذلك سياسة «النظر إلى الشرق» التي تم التعبير عنها بصوت عالٍ مع رئاسة رئيسي.

كما صرحت السعودية بأنها لا تريد أن تتصرف في ظل الولايات المتحدة، بعبارة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان ، «لم نعد مهتمين بإرضاء الولايات المتحدة».[32] لذلك،

يبدو أن اثنين من أهم الممثلين في الشرق الأوسط مرشحين للعمل مع الصين في بحثهم عن رؤية نظام عالمي بديل عن تلك الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية. ويعني الاتفاق الإيراني السعودي، الذي جاء في وقت كانت فيه المملكة العربية السعودية وإيران على جدول أعمال الانضمام إلى أعضاء البريكس،[33] بلا شك تعزيز الجبهة الشرقية من خلال تشكيلات مثل البريكس. ويجب قراءة خفض النفط البالغ 1.16 مليون برميل الذي أعلنته دول أوبك + في 2 أبريل في هذا السياق.[34]

لقد كان واضحًا من كلمات جو بايدن «لقد أصبت بخيبة أمل» مدى عدم ارتياح الولايات المتحدة للتخفيض في عام 2022. على الرغم من زيارة بايدن إلى المملكة العربية السعودية في يوليو، فقد تمت قراءة تحقيق هذا الخفض كمؤشر على فشل السياسة الخارجية الأمريكية ولأنه بسبب حرب أوكرانيا، ولا تعتبر الزيادة الأخيرة لاضطرار دول أوبك إلى زيادة الإنتاج، لتلبية احتياجات الطاقة في الغرب.[35]

مع الاتفاق السعودي الإيراني، وخفض إنتاج النفط من دول أوبك +، وتوسيع البريكس ومنظمة شنغهاي للتعاون (مشاركة إيران الرسمية فيها في سبتمبر 2022)[36]، تواجه الهيمنة الأمريكية والغربية أزمة خطيرة. وأكبر قوة تقود هذا التحدي برمته هي الصين.

وفي هذا السياق ولأول مرة في روسيا ، أصبح اليوان الصيني العملة الأكثر استخدامًا في فبراير 2023، متجاوزًا الدولار الأمريكي.[37] وتخطط المملكة العربية السعودية أيضًا لاستخدام اليوان بدلًا من الدولار في مبيعات النفط إلى الصين لفترة طويلة. يمثل صعود اليوان ضربة كبيرة (إزالة الدولار) لعملة احتياطي الدولار في الاقتصاد العالمي.[38] ويمكن القول إن الولايات المتحدة ستحاول التدخل في هذه العملية بطريقة ما.[39] ومع ذلك، لا يبدو من الممكن في الوقت الحالي التنبؤ بنوع ومدى فعالية ونجاح هذا التدخل.

خاتمة

يعتبر قرار تطبيع العلاقات بين إيران والسعودية، وهما من أهم دول الشرق الأوسط، والصراعات بينهما عميقة الجذور، من القضايا التي تستحق الاهتمام بأسبابها ونتائجها. هذا التطبيع لا يعني فقط تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتبادلة بين الدول وحتى لو بقي على هذا النحو، فإن أهميته لا تتضاءل.

ومع ذلك ، يمكن القول بسهولة أن هذه الاتفاقية لديها القدرة على التأثير على التوازنات الإقليمية والعالمية. ويعد انخفاض توتر الحروب بالوكالة في المعادلة الإقليمية وتعزيز الخطوات نحو حل في مجالات مثل اليمن وسوريا من أولى النتائج

التي تتبادر إلى الذهن. وسيساهم انتهاء الحروب بالوكالة، في إحلال السلام والهدوء العام في المنطقة.

وفي الوقت نفسه، سوف تتسارع الأنشطة الاقتصادية والإنسانية من حيث إعادة الإعمار والتنمية في مناطق الحرب هذه. إن تطوير العلاقات الاقتصادية سيزيد من قدرة دول المنطقة على البقاء بمواردها الخاصة وسيجعل المنطقة مركز جذب من حيث التجارة العالمية حيث تتمتع بمظهر مستقر.

وعلى نفس المنوال، فُتح باب الفرصة أمام الجهات الفاعلة الأخرى ذات العلاقات المتوترة مع دول المنطقة لتطبيع علاقاتها. وهنا تعتبر المصالحة بين إيران والخليج مهمة للغاية من حيث التطبيع بين تركيا ومصر وإيران ومصر وتطبيع سوريا مع تركيا ودول الخليج. وبهذا المعنى، فإن المملكة العربية السعودية دولة محورية ستجر موجة التطبيع لأنها من أهم الفاعلين في الخليج. ويمكن القول أن تطبيع الخليج مع سوريا لم يكن ممكنًا في معادلة لا سلام فيها مع إيران.

وبالمثل، فإن تطبيع تركيا مع سوريا يجد أساسًا إيجابيًا مع الاتفاق الإيراني السعودي. وتجدر الإشارة إلى أن مخرجات هذه الاتفاقية ستكون أيضًا حاسمة في المعادلة العالمية.

بادئ ذي بدء، يبدو أن المملكة العربية السعودية، التي كانت تعتمد تقليديًا على دور الولايات المتحدة كمزود للأمن، تعمل على موازنة علاقاتها مع الجهات الفاعلة العالمية. وتبرز الصين وروسيا في هذا الصدد. ويمكن للمملكة العربية السعودية تحقيق ذلك، أولًا وقبل كل شيء، من خلال تقليل التهديدات الأمنية في جغرافيتها المباشرة. لذلك فإن التقارب مع إيران وإنهاء الحروب بالوكالة يخدم هذا الغرض.

من ناحية أخرى، فإن كيفية تعامل الولايات المتحدة مع حقيقة أن شركائها في الشرق الأوسط آخذون في التناقص هو أمر مثير للفضول. هل يمكن استعادة ثقة الشركاء الخليجيين المفقودة؟ هل المزيد من العقوبات أو مبيعات الأسلحة هو السبيل للولايات المتحدة لإعادة فرض هيمنتها في المنطقة؟ هذه الأسئلة تستحق الإجابة. ماذا يمكن أن تكون بدائل الولايات المتحدة الموجودة في الشرق الأوسط بعناصر قوتها الصارمة، ضد الصين التي تحاول الاستقرار في الشرق الأوسط باستراتيجية تنتج نتائج إيجابية مثل الاستثمار والدبلوماسية والوساطة؟ هل يمكن أن تكون الاتفاقات المشابهة للاتفاق الإيراني السعودي ممكنة في المستقبل القريب؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو الدور الذي ستلعبه الصين في هذه الاتفاقيات؟ ترتبط كيفية تطور الحرب الأوكرانية ارتباطًا وثيقًا بالإجابات على كل هذه الأسئلة.

أدت حرب أوكرانيا إلى تقليل كل من الولايات المتحدة وروسيا اهتمامهما بالشرق الأوسط. اغتنمت الصين هذه الفرصة، ووجدت لنفسها مكانًا في الشرق الأوسط. يمكن القول أنه ستكون هناك تغييرات في هذا الجدول حسب مسار ونتائج الحرب. طالما استمرت حرب أوكرانيا، يمكن التنبؤ بأن الصين ستستمر في اغتنام الفرص في الشرق الأوسط. ومع ذلك، حيث تتوقف الحرب ويتفق الطرفان، ستجد الولايات المتحدة وروسيا مكانًا لهما في معادلة الشرق الأوسط ضد الصين. وبهذا المعنى، فإن قوة الروابط التي تقيمها دول المنطقة فيما بينها ستعمل أيضًا على تقليل عدم الاستقرار الذي قد تسببه الجهات الفاعلة غير الإقليمية.

الهوامش والمراجع:

1. «Joint Trilateral Statement by the People's Republic of China, the Kingdom of Saudi Arabia, and the Islamic Republic of Iran», 10 Mart 2023, http://se.china-embassy.gov.cn/eng/zgxw_0/202303/t20230311_11039241.htm, Erişim Tarihi: 05 Nisan 2023.
2. «İran ve Suudi Arabistan, 7 yıl sonra büyükelçiliklerini yeniden açma kararı aldı», BBC, 6 Nisan 2023.
3. Mustafa Caner ve Gloria Shkurti Özdemir, «Ukraine war: Iran's sale of drones to Moscow will only increase its isolation», Middle East Eye, 17 Kasım 2022.
4. «Yemen's Houthis claim drone attack on refinery in Saudi capital», Reuters, 11 Mart 2022.
5. «Russia surpasses Saudi Arabia as China's top oil supplier», Middle East Eye, 21 Mart 2023.
6. «Iranian oil exports end 2022 at a high, despite no nuclear deal», CNBC, 15 Ocak 2023.
7. «Iran summons Chinese envoy for statement on disputed islands», AA, 11 Aralık 2022.
8. «Iranian President Welcomes Invitation to Saudi Arabia: Spokesman», Tasnim, 04 Nisan 2023.
9. «Saudi officials arrive in Iran to discuss reopening diplomatic missions», Middle East Eye, 8 Nisan 2023.
10. «Iran says reopening of diplomatic missions in Saudi Arabia in 'final stage'», Al Arabiya, 9 Mayıs 2023.

11. «Iran appoints Alireza Enayati as top envoy to Saudi Arabia: Mizan news agency», Arab News, 23 Mayıs 2023.

12. «Iran reopens embassy in Saudi Arabia», Arab News, 6 Haziran 2023.

13. Muhammet Torunlu, «Iran reopens consulate in Saudi port city of Jeddah», Anatolian Agency, 8 Haziran 2023.

14. «Saudi, Iran foreign ministers meet in Tehran amid warming ties», Al Jazeera, 17 Haziran 2023.

15. Mohammed Benmansour, «Saudi-Iran thaw improves haj services for Iranian pilgrims», Reuters, 23 Haziran 2023.

16. «Iran, Bahrain in talks to resume ties: Sputnik», IRNA, 25 Mart 2023.

17. «Bahrain cuts diplomatic ties with Iran», Al Jazeera, 04 Ocak 2016.

18. «Suriye, Arap Birliği'ne geri kabul edildi», BBC, 7 Mayıs 2023.

19. «Syria's Assad arrives in United Arab Emirates in official visit», Reuters, 19 Mart 2023.

20. «No: 102, 14 Nisan 2023, Yemen'deki Gelişmeler Hk.», https://www.mfa.gov.tr/no_-102_-yemen-deki-gelismeler-hk.tr.mfa, Erişim Tarihi: 19 Temmuz 2023.

21. «No: 70, 10 Mart 2023, Suudi Arabistan ile İran Arasında Diplomatik İlişkilerin Yeniden Tesis Edilmesi Hk.», https://www.mfa.gov.tr/no_-70_-suudi-arabistan-ile-iran-arasinda-diplomatik-iliskilerin-yeniden-tesis-edilmesi-hk.tr.mfa, Erişim Tarihi: 01 Nisan 2023.

22. «Bennett: Saudi-Iran deal a failure of Israeli efforts to build anti-Tehran coalition», Times of Israel, 10 Mart 2023.

23. «Report: UAE Halts Military Purchases From Israel Amid Political Turmoil», Haaretz, 12 Mart 2023.

24. Tovah Lazaroff, «UAE, Jordan consider reducing diplomacy with Israel - report», Jerusalem Post, 22 Mart 2023.

25. Simon Henderson, «With Saudi-Iran diplomacy, is China pushing the US aside in the Middle East?», The Hill, 13 Mart 2023.

26. «Saudi FM refused press briefing with Iran counterpart over Soleimani picture», Middle East Monitor, 19 Haziran 2023.

27. Baqer Moin, Son Devrimci: Ayetullah Humeyni. Osman Cem Önertoy (Çev.), Ankara: Elips Kitap, 2005, s. 291.

28. «EXCERPTS FROM KHOMEINI SPEECHES», The New York Times, 4 Ağustos 1987.

29. «Mina'da kâbus: 753 ölü», Hürriyet, 25 Eylül 2015.

30. «CIA complained US was blindsided by Saudi outreach to Syria and Iran: Report», Middle East Eye, 6 Nisan 2023.

31. «US targets Syrian money service businesses in fresh sanctions», Reuters, 30 Mayıs 2023.

32. «Middle East welcomes China's role as peace builder, rejects US determinism», Global Times, 6 Nisan 2023.

33. Antony Sguazzin, «BRICS Debates Expansion as Iran, Saudi Arabia Seek Entry», Bloomberg, 15 Şubat 2023.

34. Nick Edser, «OPEC+ ülkeleri üretim kesintisi açıkladı, petrol fiyatları yüzde 5 arttı», BBC, 03 Nisan 2023.

35. Ellen Knickmeyer, Chris Megerian ve Kevin Freking, «A bump and a miss: Saudi oil cut slaps down Biden's outreach», AP, 7 Ekim 2022.

36. Saeed Azimi, «Iran officially joins SCO», Tehran Times, 17 Eylül 2022.

37. «China's Yuan Replaces Dollar as Most Traded Currency in Russia», Bloomberg, 3 Nisan 2023.

38. Summer Said ve Stephen Kalin, «Saudi Arabia Considers Accepting Yuan Instead of Dollars for Chinese Oil Sales», The Wall Street Journal, 15 Mart 2023.

39. Mustafa Caner, «Saudi-Iranian Normalization: What's behind the Surprising Deal?», Politics Today, 13 Mart 2023.